الفروسية في قصص الامثال في العصر الجاهلي

Equestrianism in the tales of proverbs in the pre-Islamic era

د. عامر صلال
م. م. سعد سلمان عبد
saddfsaad101@gmail.com

الإرسال: 2025/06/01	القبول:2025/07/10	النشر:2025/07/15

Abstract:

The research deals with the stories of chivalry included in the Arab proverbs in the pre-Islamic era specifically according to the descriptive and analytical method، exposing the most important resources of those proverbs from the desert environment. The desert represented the horizon and the source from which the Arab quenched his thirst. Its influence on the Arab character was clearly evident، as we see it penetrate his behavior and customs. Since the pre-Islamic society is a realistic society، this appeared clearly in his life in the external framework، so that the contemplations of the pre-Islamic poet were few due to his lack of awareness of metaphysical issues and the afterlife. We see him sometimes attributing death to time. The research is divided into two sections preceded by an introduction in which he studied the environment and its effect on the emergence of literature، and then the conclusion in which the study added a definition of the proverb in language and terminology and the functions of social proverbs. The first section focused on chivalry and its relationship to the pre-Islamic social environment. The researcher dealt with representations of chivalry in the pre-Islamic era، then studied examples of those representations. As for the second section، the manifestations of values in the stories of knights in proverbs، represented by the values of courage. And the values of forgiveness section dealt with

Key words social values Proverbs Equestrianism the desert

مُلخّص البحث

يتناول البحث قصص الفروسية التي تضمنتها الامثال العربية في العصر الجاهلي بالتحديد وفق المنهج الوصفي التحليلي متعرضاً الى اهم موارد تلك الأمثال من البيئة الصحراوية مثلت الصحراء الافق والمنبع الذي يرتوي منه العربي وقد تجلى تأثيره على الشخصية العربية بشكل واضح فنراه ينفذ الى سلوكياته وعاداته وبما ان المجتمع الجاهلي هو مجتمع واقعي فقد ظهر ذلك جلياً على حياته بالإطار الخارجي حتى أن تأملات الشاعر الجاهلي كانت قليل بسبب قله ادراكه القضايا الماورائية والمصير الاخروي فنراه في بعض الاحيان ينسب الموت للدهر، تقسم البحث على مبحثين مسبوق بتمهيد درس فيه البئية واثرها في نشأة الادب ومن ثم الخاتمة وضفت فيها الدراسة التعريف بالمثل لغة وصطلاحاً ووظائف الامثال الاجتماعية حيث وقف المبحث الاول الفروسية وعلاقتها بالبيئة الاجتماعية الجاهلية تناول فيه الباحث تمثلات الفروسية في العصر الجاهي ثم درس نماذج من تلك التمثلات، اما المبحث الثاني تمظهرات القيم في قصص الفرسان في الأمثال، تمثلت بقيم الشجاعة وقيم العفو.

الكلمات المفاتيح: الأمثال، القيم الاجتماعية، الفروسية، الأنساق.

المقدمة:

تعد الأمثال من قوام الثقافة الجاهلية، ومن الركائز المتجذرة في البناء الاجتماعي للمجتمع الصحراوي ولها ما للقصيدة الشعرية من أهمية وحضور وقد تداولوه في احاديثهم ومناظراتهم وفي اسواقهم ومن مبلغ اهتمامهم بالمثل اشترطوا بأن يكون للمثل أصل أي حكاية وقعت فعلاً وليست من نسج الخيال، وكان للمثل مكانه عند الادباء حيث قال أبو عبيدة الامثال حكمة العرب في الجاهلية والإسلام وبها كانت تعارض كلامها فتبلغ به ما حاولت من حاجتها في المنطق بكناية غير تصريح فيجتمع لها بذلك ثلاث خلال ايجاز اللفظ واصابة المعنى وحسن التشبيه وقد ضربها النبي(ص) وتمثل بها ومن بعده السلف.

الفروسية في قصص الأمثال في العصر الجاهلي

التمهيد

البيئة وأثرها في نشأة الأدب

مثلت الصحراء الافق والمنبع الذي يرتوي منه العربي وقد تجلى تأثيره على الشخصية العربية بشكل واضح فنراه ينفذ الى سلوكياته وعاداته وبما ان المجتمع الجاهلي هو مجتمع واقعي فقد ظهر ذلك جلياً على حياته بالاطار الخارجي حتى ان تأملات الشاعر الجاهلي كانت قليل بسبب قله ادراكه القضايا الماورائية والمصير الاخروي فنراه في بعض الاحيان ينسب الموت للدهر كما في قول النابغة:

وتأمنوا الدهر الخؤون فانه على كل حالٍ بالورى يا قلبُ[1]

وقد بلغ ذلك التأثير مبلغهُ في الشكل الخارجي لا جسامهم ((**أضفت عليهم سمره قاتمة، وجعلتهم ضامرين أشداء يحاكون الصحراء في تكوينهم الجسدي**))[2] و على الجنبة الاخلاقية ((**طبعت الصحراء أخلاق العرب بطابعها فتحلّوا منذ القدم بالشهامة والكرم والوفاء والنجدة وحب الحرية، وامتدت هذه الصفات الأدب الجاهلي بمعظم أفكاره ومعانيه**))[3]، وبما ان الادب مثل جزء من حياة ذلك العربي فنراه قد اثر وتأثر في تلك الشخصية.

لقد امتزج العربي بتلك الصحراء فكونت منه شخصية ويظهر ذلك في اشعار الشعراء ومنها ما ذكره طرفة بن العبد قائلاً:

أنا الرجل الذي تعرفونه خشاش كرأس الحية المتوقد[4]

فالصحراء لها الفضل الكبير على نشأة الشعر العربي وتطور في تلك الفترة وأصبح المورث الذي ينهل منه علماء اللغة حين قعدوا قواعد النحو، ولا يخفى لأثر وأهمية العصر الجاهلي جعل الدراسات تنصب عليها بالشرح والتحليل من عرب ومستشرقين محاولين وضع نظرياتهم في بلورة أفكار هذا العصر وسماته وظواهره الادبية.

ومن ابرز مظاهر الحياة الادبية في هذا العصر الشعر الجاهلي فقد ذكر أبو عمرو العلاء 154 ((**ما انتهى اليكم مما قالت العرب الا اقله ولو جاءكم وافر لجاءكم علم وشعر كثير**)) [5]، والى جانب الشعر كانت هناك بعض الفنون الادبية كـ(كالأمثال و الخطب والرسائل والقصص و والوصايا) وبما أن الادب ((**تجربة انسانية يرصدها الاديب بأبعاد محددة وبشكل وأسلوب فنيين يؤديان وظيفة التعبير عن القضايا البشرية والعامة**)) [6]

وتعد الامثال ذاكرة العرب وارثهم الكبير وهي فن بياني يقرب المراد الى العقول ويثبت المعاني حتى انهم اعابوا بعض الامثال التي لم ترد في الجاهلية والبيئة الجاهلية لأنها منبع الفطرة والنقاء وبها استقت واينعت علوم النحو والصرف خوفاً من امتزاجها الامثال المولّدة وما وضع فيها.

ومن هذا المنطلق سوف نتطرق في هذا التمهيد بمحورين:

1- **الامثال لغة واصطلاحاً**
2- **الوظائف الاجتماعية للأمثال**

المثل لغة واصطلاحـــاً

المثل لغة: مثل: كلمة تسوية. يقال: هذا مثله ومثله كما يقال شبهه وشبهه بمعنى، قال ابن بري: الفرق بين المماثلة والمساواة أن المساواة تكون بين المختلفين في الجنس والمتفقين ; لأن التساوي هو التكافؤ في المقدار لا يزيد ولا ينقص، وأما المماثلة فلا تكون إلا في المتفقين [7]

المثل اصطلاحاً: توزع تعريفها بين قسمين (المماثلة) و (العرض في صورة حسية) [8]. وقيل: **عبارات تضرب في حوادث مشابهة للحوادث الأصيلة التي جاءت فيها، وانتقلت عبر الرواة من جيل الى اخر** [9]

وقال تعالى ((فجعلناهم سلفاً ومثلاً للأخرين)) [10] وقال تعالى ((يأيها الناس ضُرب مثلُ فاستمعوا له)) [11] اي بمعنى أية وفي قول اية اخرى ((وجعلنا مثلاً لبني اسرائيل)) [12] اي بمعن تدل على النبوة، وقد استعمل القران الكريم مفهوم ضرب الامثال بكثر من اجل تقريب الامور

للبشر وزيادةٌ في الحجة وقد اعتنى العرب بالأمثال عناية قل نظيرها حتى انهم اقحموها كل ميادينهم وقال الجاحظ ((**كان الرجل من العرب يقف فيرسل عدة امثال سائرة ولم يكن الناس جميعاً ليتمثلوا بها الا لما فيها من الرفق والانتفاع**))[13] لذا صعب على الباحث المشتغل في فنون الادب الجاهلي معرفة نسب الامثال الى اصحابها إلا ما ندر منها وكان مرتبط بقصة رواها الرواة في كتبهم، وقد عرفها ابن عبد ربه ((وشي الكلام وجوهر اللفظ وجلي المعاني. . فهي أبقى من الشعر واشرف من الخطابة لم يسر شيء مسيرها ولا عّم عمومها حتى قيل أسير من مثل))[14]

وقد اورد ابن رشيق سبب التسمية ((انما سمي المثل مثلاً بخاطر الانسان أبداً أي شاخص فيتأسى به ويتعظ ويخشى ويرجو ويأمر ويزجر))[15]، في حين ذكر الراغب الاصفهاني ((المثل عبارة عن المشابهة لغيره في معنى من المعاني أي معنى كان وهو أعم الالفاظ الموضوعة للمشابهة))[16]، وله اهمية كبيرة في مجتمعهم ((فعندما نتبع الامثال في العربية ندرك ونتأكد من تسامي هذا الون البديع وارتقائه مراتب الفصاحة المعهودة عند العرب وهو ما كان فيه ايجاز للفظ واصابة للمعنى وجودة في الكتابة))[17]

الوظائف الاجتماعية للأمثال

تعد الامثال من قوام الثقافة الجاهلية، ومن الركائز المتجذرة في البناء الاجتماعي للمجتمع الصحراوي ولها ما للقصيدة الشعرية من أهمية وحضور وقد تداولوه في احاديثهم ومناظراتهم وفي اسواقهم ((**ومن مبلغ اهتمامهم بالمثل اشترطوا بأن يكون للمثل أصل أي حكاية وقعت فعلاً وليست من نسج الخيال**))[18]، ومن أهم الوظائف التي يؤديها:

الوظيفة التوصيلية:

وكان للمثل مكانه عند الأدباء حيث قال أبو عبيدة ((الامثال حكمة العرب في الجاهلية والاسلام وبها كانت تعارض كلامها فتبلغ به ما حاولت من حاجتها في المنطق بكناية غير تصريح فيجتمع لها بذلك ثلاث خلال ايجاز اللفظ واصابة المعنى وحسن التشبيه وقد ضربها النبي(ص) وتمثل بها ومن بعده السلف))[19]، في حين ذكر الزمخشري ((الأمثال قصارى فصاحة العرب

العرباء وجوامع كلمها ونوادر حكمها وبيضة منطقها وزبدة حوارها وبلاغتها التي أعربت بها عن القرائح السليمة والركن البديع الى دراية اللسان حيث أعجزت اللفظ وأشبعت المعنى وقصرت العبارة وأطالت المغزى ولوحت فأغرقت في التصريح وكنت فأغنت عن التصريح)) [20]، ومن خلال **راي** أبو عبيدة والسيوطي يتبين للقارئ المنزلة المهم للمثل عند أهل البلاغة وهو احد قسمي الاستعارة التمثيلية تكون مجال اهتمامها علم (البيان). وقد حدد اهل البلاغة خصائص الامثال (ايجاز اللفظ و اصابة المعنى و حسن التشبيه وجودة الكناية)فهي نهاية البلاغة. وقد فتحت في العصر الحالي الباب لدراستها في الجانب النفسي والاجتماعي والفلسفي فهي تكشف لنا جوانب من الحياة الجاهلية وتوضح الكثير من الاسرار.

الوظيفة : الوظيفة اللغوية (الاثراء اللغوي):

فهي اساليب عربية خالصة، نشأة في بيئة عربية تميزت هذه البيئة بالبساطة في معيشتها واحوالها، فجاءت تلك الامثال متناغمة مع تلك البساطة لمن كانت لهُ عربية فصيحة، فقد اتخذها العرب قديماً ولا زالت أداة يفسرون بها الحوادث، وقد تميز التراث العربي بغزارة الامثال وما تناقلتهُ الكتب الا الجزء قليل منها وقد استطلع أهل اللغة أهل البادية بحثاً عن اصل للغة العربية فكان من ضمن احتجوا به الامثال الجاهلية فأسسوا على غرارها بناء قواعد لغوية اثرت النحو العربي ووسعت من أفاقه.

نماذج من مسائل نحوية تتعلق بالأمثال:

1- وقوع المبتدأ نكرة من غير مسوغ: حيث وردة امثال بهذه الصيغة كـ(شرٌّ أهرَّ ذا ناب) [21] حيث وقع شر مبتدأ وهو نكرة مما جعل النحاة يتصدون لتأويل ومنهم سيبويه (108) فقدر الابتداء به على معنى الفاعل فالتقدير: ما أهرّ ذا ناب الا شرّ، في حين ان ابن عقيل يذهب الى ان ذلك يدخل فيما يجوز فيه الابتداء لأنه موصوف...الخ [22]

2- حذف الفعل لكثرته: لقد حذف الفعل من نصوص كثيرة ممن كلام العرب ومنها ما جاء في هذا المثل(كليهما وتمرا) [23] رأى سيبويه ان الحذف لكثرة تردد هذا الكلام عند

العرب فأصبح كالمثل والاصل (اعطني كليهما وتمرا) ومنها (أهلك والليل) وتقدير الحذف عند سيبويه(بادر اهلك والليل) من باب التحذير [24]

وغيرها من القواعد التي شذبت على هذه الامثال((الامثال العربية غزيرة بالمسائل النحوية التي تتعلق بأنواع الكلم الثلاث تناولها النحاة وأفردوا لها أبواباً في كتبهم)) [25]، و بالنظر لهذا الاتساع في استخدام الامثال والقياس عليها تتيح فرصة للثراء اللغوية في استخدامات المعجم العربي وهذه ميزةٌ تحسب للمثل.

المبحث الاول

الفروسية وعلاقتها بالبنية الاجتماعية الجاهلية

اولاً: تمثلات الفروسية في العصر الجاهلي:

ورد في لسان العرب فرس الاسد فريسته يفرسها فرساً أي دق عنقها واصل الفرس هذا، ثم كثر واستعمل حتى صير كل قتل فرساً وقد نُهي عن الفرس في الذبح وكسر عظم الرقبة قبل ان تبرد [26]، وجاء في معجم تاج العروس والفرس واحد الخيل سمي به لدقه الارض بحوافره واصل الفرس الدق كما قال الزمخشري واشار له ابن فارس [27]، وقد احتلت الفروسية المكانة العالية عند العربي ومزجت بخصال حميدة ومزايا كريمة وكان معظمهم من الشعراء **((والفروسية الجاهلية ليس نظاماً معيناً يفرض على اتباعه سلوكاً خاصاً وهي ليس فروسية عسكرية يتلقى فيها الفارس دروساً معينة ويدخل تدريبات مرسومة انما هي مظهر من مظاهر الحياة نشأ عن عوامل اجتماعية واخلاقية وحربية وتطور وفق اساليب معينة ساعد على تطور هذا النظام فطرتهم السليمة))** [28] وقد تأتي من وراثة اوقد تأتي من فعاله ودفاعه عن قومه حيث قال ابن طفيل: [29]

اني وان كنت ابن سيد عامر وفارسها المشهور في كل مــوكِ

فما سودتني عامر عن وراثةٍ أبى الله أن اسمــو بأم ولا أبِ

ولكنني أحمي حمامها ولأتقي اذاها وأرمـي من رماها بمنكبِ

ضمن إطار الفروسية التي تعدّ ((**ضرورة لا بدّ منها في مجتمع قبلي يقوم على المنافسة والصراع من أجل ضمان الحياة واستمرارها مدّة أطول في تلك الظروف القاسية، فأصبحت الفروسية صفة غالبة على معظم أبناء الصحراء العربية إن لم يكن كلّهم**))[30]

والفروسية في العصر الجاهلي ظهرت على اتجاهين ((**جانب الحرب والتي بها تسترد الحقوق ويقام العدل على المعتدي بمحاسبه والثاني المثل العليا والروح الانسانية العالية التي بها يتسم الفارس العربي في بناء مجده في القبيلة**))[31]، وقد امتزجت تلك الفروسية بقصص تناولتها الرواة والقصاص في والنساج في مُسامراتهم عند المجتمع وتحت ظلال عروش الخلفاء والملوك، وما أن ازداد الاقبال عليها فتح لها الادب العربي باب كبير تناولهُ الكتاب والنقاد بالشرح والتوضيح، وكان من أسباب خلود الفرسان ذكره الطيب في القوم بعده مماته التزامه بالمروءة في حياته وصفه الشاعر عدي بن زيد[32]

وقل المعروف فيمن قاله وأمتحن نفسك من قيل العندِ

وقد تجسدت الفروسية في قيم جاهلية أصلية كـ(**الشجاعة، والكرم، والصبر، وحفظ الامانات، وتعاهد الرفقة، وصدق الحديث.** .الخ).

ثانياً: دراسة تحليله لنماذج من قصص الفروسية في المثل الجاهلي:

النموذج الأول ((كالأشقر ان تقدم نُجِروان تأخَّر عُقر)) [33]

قصة المثل ((العرب كانت تتشاءم من الافراس بالأشقر قالوا: كان لقيط بن زُرارة يوم جبلة على فرس أشقر فجعل يقول ان تتقدم تنحروان تتأخر تُعقر وذلك أن العرب تقول: شُقر الخيل سراعُها وكُمتها صلابُها فهو يقول لفرسه: يالأشقر ان جريت على طبعك فتقدمت الى العدو قتلوك وأن أسرعت فتأخرت مُنهزماً أتوك من ورائك فأثبت والزم الوقار وأنفِ عني وعنك العار))[34]، والافراس جمع فرس والاشقر (اللون): **شقر**. شَقَراً، وشُقْرَة: أُشربَ بياضُه حمرةً. فهو شَقِر، وهي شَقِرة [35]، وقيل: ان هذا المثل يضرب للفرس لمن يكر من وجهتين _ في الكر والفر- اي نفس السرعة والقوة، ويدخل هذا المثل تحت عباءة النصيحة لكن من باب المجاز

العقلي اسناد الشيء الى من ليس بأصلة فـ(الفرس) حيوان لا يمكن توجيه الكلام له لكن المتكلم أسند له الحديث من باب الاستئناس بالحديث وضرب من الفكاهة، حيث عكس هذا المثل دلالة للفعل العقلي السائد فن محاكاة الاشياء واستنطاقها كـ(الحيوانات والجن والعفاريت والطلل البالي. .) فرتبطت بالعقل الجمعي في قضية التشاؤم من الفرس (الاشقر) عكس ثقافة لمجتمع وفق بناء قصصي بسيط ارتبطت به الشخصية الرئيسية (الناصح) وبالجهة الثانية (حيوان) يوجه له النصيحة من باب المجاز وفق عقدة بسيطة غير مركب انتهت نهاية ساخرة فالمثل مستنطق لهذه الدلالة حاملاً دلالات بلاغية ظاهرة في سرده، وقد قسم الباحثون الحوار على ثلاثة انواع بحسب المتحاورين فاذا لم يوجد بينهم تكافؤ يسمى تعليماً فيهيمن السؤال على الجواب واذا تكافأ وساد التقرير والنفي والاثبات سمي جدليً ويسمى سجليً اذا تكافأ الطرفين وبدى باختلاف وانتهي به [36] وقصة مثلنا هذا تصدر وفق علاقة غير متكافأ (الانسان- والفرس)، وهي سمه متوارده في الشعر الجاهلي ومنها قول عنترة

فَتضاحَكَتْ عَجَبَاً وَقالَتْ يافتى لا خيرَ فيكَ كأَنَّها لم تَحْفِلِ[37]

والمُتأمّلُ في النصّ(قصة المثل) يلحظ أَنَّ الحوارَ الذي جاءَ على لسانِ الشخصِيّةِ الرئيسةِ في الحدثِ، جاءَ عن طريقِ الاسترجاعِ لبيانِ حادثة في الموروث العقل الجاهلي.

نموذج ثاني ((أكفرُ من هُرمز)) [38]

قصة المثل((قيل لما سار خالد بن الوليد الى مُسليمة وقاتله وفرغ من قتاله أقبل الى ناحية البصرة فلقى هُزمر بكاظمة في جمعٍ من أعظم من جمع المسلمين ولم يكم أحد من الناس أعدى للعرب والاسلام من هُرمز ولذلك ضربت العرب به المثل فقالوا: أكفرُ من هُرمز قالوا: فخرج اليه خالد فدعاه الى البراز فخرج اليه هرمز فقتله خالد وكتب بخبره الى ابو بكر فنفّلهُ سلبه، فبلغت قلنسوته مائة ألف درهمٍ وكانت الفرسُ اذا شرفتِ الرجل فيما بينهم جعلت قلنسوته بمائة ألف درهمٍ))[39]، جاء هذا المثل على فرض صحة الحادثة بصيغة التعجب على ورزن (أفعل) لا نه على المستوى النفسي يحقق الدهشة في نفس المتلقي مما يجعلهُ يعير الامر أكثر اهمية ويستعد لتقبل باقي الحديث، فالتعجب يستخدم بشكل غير مباشر للتأثير في المتلقي

في حين يرى(ياوس) أن استخدام أسلوب التعجب يؤدي إلى كسر أفق القارئ مما يجعلهُ يتفاعل بطرق غير متوقعة بسبب عنصر الدهشة والمفاجأة فهو يُسهم في تحفيز القارئ على التأمل في المعاني فيثير حالة من الاثارة، ولاحظ الباحث كثرة استخدام صانعي الامثال للوزن (افعل) لما له من بعد نفسي تكويني واثارة قصدية.

ومنها ما جاء على هذا الوزن ((أكسبُ من قيس بن عاصم)) [40] وقد تمثلهُ زيد الخيل في قصيدته:

فلستُ بفرارٍ أذا الخيل ، أجمعت ولستُ بكذابٍ كقيس بن عاصم[41]

يؤدي المعنى في هذا المثل وظيفة معرفية اجتماعية، تعبر عن ثقافة مجتمع في تعامله مع الرمز سواء (ديني او اجتماعي او بطولي) فقصة المثل تحمل طريقة السرد الاخباري انتجت قيم مهمة كـ(التعظيم) فهي تحمل الصفة الواقعية – اذا صحت الحادثة- فالسرد التاريخي في المثل ((يضطلع بوظيفة تنظيمية من شأنها ايجاد العلاقات الرابطة بين مجموعة من الاحداث المختلفة والمتباينة)) [42]

نموذج ثالث((لو تُرك القطا ليلاً لنام)) ويضرب للفطنة في مكائد الحرب

قصة المثل ((وقال المفضل: أول من قال (لو ترك القطا ليلاً لنام) حذام بنت الريان وذلك أن عاطس بن خلاج سار الى أبيها في حِمير وخثعم وجعفى وهمدان ولقيهم الريان في أربعة عشرة حيا من أحياء اليمن فاقتتلوا قتالاً شديداً ثم تحاجزوا وان الريان خرجت تحت ليلته وأصحابه هرابا فساروا يومهم وليلتهم ثم عسكروا فأصبح عاطس فغدا لقتالهم فإذا الارض منهم بلاقع فجرد خيله وحث في الطلب فانتهوا الى عسكر الريان ليلاً فلما كانوا قريبا منه أثاروا القطا فمرت بأصحاب الريان فخرجت حذام بنت الريان الى قومها فقالت:

ألا يا قومنا ارتحلوا وسيروا فلو ترك القطا لناما

أي أن القطا لو ترك ما طار هذه الساعة وقد أتاكم القوم فلم يلتفتوا الى قولها وأخلدوا الى المضاجع لما نالهم من التعب فقام ديسم ، بن طارق وقال بصوت علِ

اذا قالت حذام فصدقوها فأن القول ما قالت حذامِ[43]

لقد جاء هذا المثل منبعثاً من بيت شعري اطلقهُ المتكلم (ديسم بن طارق) مُرتجزاً لما شاهدهُ من فطنة هذه المرأة لشدة ذكائها، حيث وفرَّ لنا مجيء المثل مشتق من البيت الشعري مع معرفة القائل والمناسبة التي قيل فيها، معرفة بأركان الحبكة وشخصياتها حيث يتصاعد الحدث حتى يصل إلى نهاية حكمية بمقولة: (ان القول ما قالت حذام) فالسيمائية الدلالية حاضرة في ثنايا المثل هي نسق مكون من علامات أو رموز، فدلالة (هروب الطير) شكلت علامة التحذير والترقب بأمر لا يحمد عقباه، في حين أن نوع الحوار المهيمن على نص قصة المثل (الحوار الخارجي) هو مجموعةُ الأقوالِ التي تُدارُ من قبل الشاعر داخل العمل القَصَصِي، ويضعها على ألسنةِ شخصياتهِ، وبذلك فأنَّ الحوارَ الخارجي يُحقِق لنا بينَ الشخصيّاتِ الفعلَ الدائري[44]. وبما ان المثل يحمل صفة السيرورة الانتشارية فسيمائية الدلالة حققت سيرورتها (للعلامة) أيضاً لارتباطها به اولاً ولكونها ملازمة لفعل ذلك (الطائر) تكوينياً ثانياً، ونلاحظ كذلك تحول البيئة بعد أن كانت بيئة (الليفة) أصبحت تحت تأثير تطور الاحداث بيئة (خطيرة) وهذا ما يفسر قابلية الامثال لاستيعاب التقنيات السردية وآلياتها لاشتمالها روح القصة وأبعادها الاخرى، في موضوعات متنوعة منها الخيالي ومنها الواقعي،

المبحث الثاني

تمظهرات القيم في قصص الفرسان في الامثال

الأمثال العربية صوره من المجتمع العربي بكل أصنافه محققة أنساقا تمس العلاقات الاجتماعية لا يستطيع ان يتخلى عنها العربي وحافظ عليها ودافع عنها بصدق أمانة في كثيراً من المواقف ومن هذه القيم هي:

قيمة الشجاعة:

(الشجاعة) **هي الاقدام على المكاره والمهالك عمد الحاجة الى ذلك وثبات الجأش عند المخاوف مع الاستهانة بالموت**[45]، لقد وظفت في تقنيات كثيرة في الامثال على شكل (**الرمز، المحاكاة، السرد والحكاية**) وهذه التقنيات لا يمكن تحقيقها إلا بواسطة جهاز بلاغي متكامل

وإيقاعي متنوع وأسلوب بياني مفعم بالإطراء المعجمي، ومن بين هذا التكامل البلاغي يبدأ غرض الشجاعة في الامثال القديمة يأخذ بالظهور الى سطوح النصوص الادبية تاركاً للقارئ انشغالات عدة يمكن دراستها وتأويلها، والشجاعة من أهم الصفات الانسانية التي ضمنها النص المثلي في العصر الجاهلي ((**قيمة مهيمنة... تجلت في صفات، وسمات القوة، والتحدي لمختلف الصعوبات**) [46] ومن أشكال الشجاعة القوة، والصبر، الحلم، ونشوة النصر، والشجاعة في العصر الجاهلي تمثلت (**بجانبين مهمين من جوانب الحياة الجاهلية الاول: جانب الحرب التي بها تُسترد الحقوق ويقام العدل على المعتدي بمحاسبته والثاني: جانب المثل العليا التي يتسم بها الفارس العربي ومن خلالها يستطيع أن يبني مجده ومجد مجتمعة لانهما يشكلان روحاً واحدة يشد بعضه بعضاً**)) [47] ومن هذه الامثال ((**إنَّ الْبَيْعَ مُرْتَخَصٌ وَغَالٍ**)) [48] وأول مَنْ قال ذلك أُحَيْحَةُ بن الجُلاَح الأوْسِيُّ سيد يثرب، وكان سبب ذلك أن قيس بن زهير العبسي أتاه - وكان صديقا له - لما وقع الشر بينه وبين بني عامر، وخرج إلى المدينة ليتجَهَّز لقتالهم حيث قتل خالدُ بن جعفر زهيرَ بن جَذِيمة، فقال قيس لأحَيْحَة: يا أبا عمرو، نُبِّئت أن عندك دِرْعاً فبِعْنِيهَا أو هَبْها لي، فقال: يا أخا بني عَبْس ليس مثلي يبيع السلاح ولا يفضل عنه، ولَولا أني أكره أن أستلئم إلى بني عامر لوهبتها لك ولحملتك على سَوَابق خيلي، ولكن اشْتَرِها بابن لَبُون فإن البيع مرتخص وغال، فأرسلها مثلا، فقال له قيس: وما تكره من استلآمك إلى بني عامر؟ قال: كيف لا أكره ذلك وخالد بن جعفر الذي يقول:

إذا ما أرَدْتَ العزَّ في دار يثرب فنادِ بصوتٍ يا أحَيْحَةُ تُمْنَعِ

رأينا أبا عَمْرٍو وأحَيْحَةَ جَارُهُ يَبيتُ قريرَ العين غيرَ مُرَوّعِ

ومن يأتِهِ من خائِفٍ يَنْسَ خوفَه ومن يأته من جائِعِ البطنِ يَشْبَعِ

فضائلُ كانت للجُلاَح قديمة وأكْرِمْ بفَخْرٍ من خصالك أربع

فقال قيس: يا أبا عمرو ما بعد هذا عليك من لوم، ولهى عنه.[49] والامثال التي تشير الى معنى من معاني الفروسية ((**اكتب شريحاً فارساً مستميتاً**)) (50)، فكان لشجاعة هذه الرجل انه يطلب الموت ولا يهابه، فالمعركة محتدمة الصراع بين يدية ولم يدخل الخوف قلبهُ، فلما

أذن له بالمشاركة استبشر بسماع هذه الكلمة (اكتب شريحاً فارساً)، وفي موضع اخر وقدى تطابق هذا المثل مع مثل اخر ((**انيّ لأكلُ الراس وأنا أعلم ما فيه**))[51]، فهو رابط القلب شجاع حتى انه يأتي هذا الامر ويعلم ما فيه مما تكره النفس، ومنها ((**إنَّ البُغَاثَ بأَرْضِنَا يَسْتَنْسِرُ**))[52] ويضرب للطير الضعيف الذي أصبح قوياً كالنسر والمثل ضربته العرب كناية عن من اصبح قوياً عزيزاً في أهله وعشيرته فهي مصدر القوة في ذلك العصر الذي كان بنائه المجتمعي قائم على احلاف القبائل والعهود والمواثيق ((والجاهلي يعد الفروسية من الخصال الحميدة وهي مدافع عن كرامة القبيلة وبها يتبوأ القبيلة المكانة الاجتماعية العالية بين القبائل الاخرى))[53]

ويعد خلود الفرسان بقاء الذكرى الطيبة له في القوم حتى بعد رحيله عن هذا العلم حيث مثل هذا الاتجاه قول الشاعر عدي بن زيد

وقل المعروف فيمن قاله وأمتحن نفسك من قيل العندِ[54]

كما اننا نستدرك هذا المعنى في امثال العرب في الجاهلية تخلد الفارس بعد رحيله((**أفرس من عامر**))[55]، وهو ابن أخي عامر ملاعب الأسنة وكان أفرس أهل زمانه وسودهم ومر حبان بن سلمى بقبرة فقال: ضيقتم على ابي عليٍ ثم قال: عم صباحاً أبا على، فو الله لقد كنت تشن الغارة وتحمى الجارة، سريعاً الى الملوك بوعدك بعيداً عنه بوعيدك، فكنت لا تضل حتى يضل النجم ولاتهاب حتى يهاب السيل ولا تعطش حتى يعطش البعير وكنت والله خير ما يكون حين لا تظن نفسٌ بنفس خيراً ثم قال: هلا جعلتم قبر أبي على ميلاً في ميل [56]ومن ملازمة الشجاعة الحرب حيث اوردة العرب لهذا مثلاً((**أول الغزو أخرق**))[57]، قال أبو عبيد: يضرب في قلة التجارب كمال قال الشاعر:

الحرب أول ماتكون فتيــةُ تسعى بزينتها لكل جهولِ

حتى اذا استعرت وشب ضرامها عادت عجوزاً غير ذات حليلِ

في نخرق اجتماع الناس وتنهش في اجسادهم وتخلف الاحزان من اثر سل سيوفــها[58]

((والكارثة تحل بالقبيلة العربية حين يقتل منها فارس لأنه انهيار لبنائها الحربي ودمار لسلطانها الاجتماعي))[59]

قيم العفو :

تتجلى هذه القيمة الخلقية في الامثال الجاهلية بصورة واضحة فهي ما اعتاده الجاهلي في سلوكياته اليومية وما اكتسبها بالإرث والسجية وطبقها بإنسانيته الكبيرة وقد قال الخليل: **((وكلُّ مَن استحقَّ عُقوبةً فتركْتَه فقد عفوتَ عنه. وقد يكون أن يعفُوَ الإنسان عن الشَّيء بمعنى الترك، ولا يكون ذلك عن استحقاق))**[60] وقال الراغب: **((العفو هو التجافي عن الذنب.))**[61]وقد شكلت هذه القيم عامل ايجابي وفاعل في حياة الجاهلي ((فعلى الرغم من عنف الحياة الجاهلية وقساوة الحياة في هذه الطبية التي تصل الى الوحشية نرى ان لدى بعض الناس روحاً انسانية فيها العطف على الضعيف ومساعدة المحتاج وبذل المال والنجدة والبر للأهل والاقارب وللغريب ايضاً))[62] ومن هذه الامثال: **((الغضب غول الحلمِ))** (63) الغضب ضد الحلم يفسد الامور وهو فتيل الحرب وزيتها الذي يمدها كلما تنطفئ وقد نهى عنه الاسلام قال تعالى **((والكظمين الغيض والعافين عن الناس والله يحب المحسنين))**[64].

ومن امثال العرب بالعفو **قولهم ((ان المقدرة تذهب الحفيظة))**[65]، قال أبو عبيد :بلغنا هذا المثلُ عن رجل عظيم من قريش في سالف الدهر كان يطلب رجلا بِذَحْلٍ الذحل - بفتح الذال وسكون الحاء الثأر فلما ظفر به قال: لولا أن المقدرة تذهب الحفيظة لانتقمت منك، ثم تركه، وقد تمثل الشاعر هذا المعنى بقوله:

ولما رأيت الود ليس بنافعي وأن كان يوماً ذا كواكب مظلماً

صبرنا وكان الصبر فينا سجية بأسيافنا يقطعن كفا ومعصما[66]،

فالصبر والعفو سجية الفارس في مواجهة الخطوب منتصراً أو متراجعاً، وقال العرب بأمثالها **((الشرر يبدؤهُ صغاره))**[67]، تتجلى هذه الامثال كالحكم تنبع من حكيم قد مارس الحياة وخرج منها بمعرفة فالعقلاء لا يوقدون الحرب والفتن وانما مصدرها جهال القوم

وصغرائهم ومثله قولهم، **((ان السلامة منها ترك ما فيها))** 68، قيل: ان المثل في ذم الدنيا والحث على تركها وهذا في بيت أوله:

والنفس تكلف بالدنيا وقد علمت أن السلامة منها ترك ما فيها

ومن امثال العرب ((رَضِيتُ مِنَ الغَنِيمَةِ بالإيَابِ.)) 69، ومن ملازمات العفو القناعة فهي صنوان للشجاعة عند العربي وقال فيها امرؤ القيس:

وقد طَوَّفْتُ في الآفاق حَتَّي رضيتُ من الغَنِيمَةِ بالإيابِ

وقالت العرب في هذا المعنى **((الرَّبَاحُ مَعَ السَّمَاحِ.))** 70 فأن الرِّبْحُ، يعني أن الجود يُورِثُ الحمدَ ويربح المدح.، وعن ذم من يدعو الناس للفضيلة وهو عالق بالرذيلة **((تنهانا أمُّنا عن الغي وتغدو فيه))** 71، ويضربُ لمن يحسن القول ويسيء الفعل

الخلاصة:

1- الامثال سجل ادبي ذاخر بالإرث الادبي للشعوب وهذا ما وقف عنده الباحث في تنقيبه لكتاب مجمع الامثال للميداني ليظهر جانب مضيئ منه تمثل بأمثال الفروسية. والتي لم تحصل الدارسة الكافية من قبل الباحثين
2- وجد الباحث أن صيغ الامثال التي قيلت في العصر الجاهلي تتميز بلغة مميزة واسلوب منمق وعمق كبير على خلاف الامثال التي قيلت في العصور التي تلت تلك الحقبة الزمنية
3- الامثال التي ترتبط بقصة يكون وقعها اكبر في نفس المتلقي لتراكم الخبرات التي تحملها
4- مثلت الفروسية جزء كبير من الامثال متمثلة بـ(الفرس الفارس وأدوات الحرب ومكائدها) فهي زاخرة بالمعاني

الهوامش

([1]) ايام العرب واثرها في الشعر الجاهلي د منذر الجبوري منشورات وزارة الاعلام العراق 1974 ص 48

([2]) المصدر السابق ص 48

([3]) الادب الجاهلي د سامي يوسف أبو زيد ، و د. منذر ذيب كفائي دار المسيرة ط1 عمان الاردن 2011 ص22

([4]) ديوان طرفة بن العبد ص59

([5]) طبقات فحول الشعراء ابن سلام الجمحي تح محمود محمد شاكر دار المدني ص 25

([6]) الادب الجاهلي، د محسن علي عربي دار الفراهيدي ط2 العراق 2010ص 9

([7]) لسان العرب لابن منظور تح نخبة العاملين بالدار العلمية دار المعارف القاهرة د ب مادة مثل

([8]) الامثال العربية القديمة، زلهام: تر رمضان عبد التواب) ص21

([9]) ينظر: الامثال العربية في العصر الجاهلي، محمد توفيق ابو علي دار النفائس ط1 بيروت 188ص 36

([10]) سورة الزخرف الآية 56

([11]) سورة الحج الآية 73

([12]) سورة الزخرف الآية 59

([13]) البيان والتبين للجاحظ تح عبد السلام هارون مكتبة الخانجي ج 1 ط7 1998:ص271

([14]) العقد الفريد ابن عبد ربه تح مفيد محمد قميحة دار الكتب العلمية لبنان 1983 ص2

([15]) العمدة ابن رشيق تح عبد الحميد هنداوي المكتبة العصرية لبنان 2007 ج 1 ص 189

([16]) الراغب مادة مثل

([17]) مكانة الامثال في الادب العربي، سيد اسماعيل حسيني اجداد، بحث منشور،قصبية دراسات الادب المعاصر ع9 ص3

([18]) تطور الامثال: مقال منشور: حسن العاني https://magazine.imn.iq/%D8%A7%D8%B9%D9%85

([19]) السيوطي بدون تحقيق ج 1 ص 384

([20]) الزمخشري ج1 ص2

([21]) مجمع الامثال ج2، 172

([22]) المسائل النحوية في الامثال العربية، صبيحة حسن و سندس محمد، بحث منشور، الجامعة المستنصرية، كلية التربية الاساسية ص14 / الكتاب، سيبويه تح عبد السلام محمد هارون، الخانجي، ط3 القاهرة، ج1، 329،

([23]) جمهرة الامثال، ج2، 231

([24]) الكتاب، سيبويه، ج1، 257

([25]) المسائل النحوية في الامثال العربية، صبيحة حسن و سندس محمد ص14

([26]) لسان العرب لابن منظور مادة (فرس) ص954

([27]) تاج العروس للزبيدي، تح جماعة من المختصين ج4 ص215

([28]) معاني الفروسية في الشعر الجاهلي ديارى محمد عطا رشيد، 2015دار غيداء للنشر ص18

([29]) الشعر والشعراء لابن قتيبة، تح احمد محمد شاكر دار الحدث القاهرة ج1، 192

([30]) شعر الفرسان في العصر الجاهلي الوظائف والدلالات رسالة ماجستير للطالبة رحيق صالح فنجان. جامعة ذي قار كلية الآداب ص 13

([31]) فاعلية البناء النصي لقيم النثر الجاهلي، د علي اسماعيل خليل

([32]) معاني الفروسية في الشعر الجاهلي ديار محمدر عطا ص18

([33])مجمع الامثال للميداني ج2 ص 46

([34])نفس المصدر ج2 ص 46

([35])معجم الوسيط مادة شقر

([36]) الاداء القصصي في اشعار ايام العرب في الجاهلية، نزار افراك، رسالة ماجستير، جامعة القادسية كلية التربية

([37]) الاشاجع: جمع أشجع وهو عصب اليدين من الرسخ إلى الأصابع، المنصل: السيف، المنهج: البالي، مغاور: مقاتل، ينظر: ديوان شعر الأيّام: 323.

([38])مجمع الامثال للميداني ج2 ص 94

([39]) مجمع الامثال للميداني ج2 ص 94

([40])مجمع الامثال ج2 ص 95

([41])نفس المصدر ج2 ص 94

(42) نفس المصدرج2 ص 46

([43]) مجمع الامثال للميداني ج2 ص 106

([44]) ينظر: الحوار في شعر الهذليين: 135.

([45]) معاني الفروسية في الشعر الجاهلي، ديارى محمد عطا رشيد،ط1 ص 84

([46]) ينظر: ال

خطاب الشعري الجاهلي رؤية جديدة د.حسين مسكين الدار البضاء ط1 2005، 134

([47]) فاعلية البناء النصي لقيم النثر الجاهلي، د علي اسماعيل خليل ط1 دار صفاء للطباعة 2024ص93

([48]) مجمع الامثال ج1ص 198

([49]) الفاخر، المفضل بن سلمة بن عاصم تح عبد العليم الطحاوي دار احياء الكتب ط1 ص 162

([50]) مجمع الامثال ج2 ص161

([51]) مجمع الامثال ج1 ص50

([52]) نفس المصدر ج1 ص10

([53]) معاني الفروسية في الشعر الجاهلي ديارى محمد عطا رشيد ص68

([54]) ينظر: نفس المصدر ص20

([55]) مجمع الامثال ج2 ص 86
([56]) ينظر نفس المصدر ج2 ص 86
([57]) مجمع الامثال ج1 ص 73
([58]) ينظر: مجمع الامثال ج2 ج1 ص 73
([59]) بلوغ الارب في معرفة احوال العرب للألوسي ج2 ص 104
([60]) موسوعة الاخلاق الاسلامية ج1 ص422
([61]) نفس المصدر ج1 ص422
([62]) معاني الفروسية ص 102
([63]) مجمع الامثال ج2 ص61
([64]) القران الكريم سورة ال عمران ايه 134
([65]) مجمع الامثال ج1 ص14
([66]) المفضليات 65
([67]) مجمع الامثال ج1ص364
([68]) نفس المصدر ج1 ص43
([69]) نفس المصدر ج1 ص43
([70]) مجمع الامثال ج1 ص801
([71]) نفس المصدر ج1 ص294

المصادر

- القران الكريم
- الادب الجاهلي، د محسن علي عربي دار الفراهيدي ط2 العراق 2010
- الادب الجاهلي د سامي يوسف أبو زيد ، و د. منذر ذيب كفائي دار المسيرة ط1 عمان الاردن 2011
- الامثال العربية القديمة، رودلف زلهام: ترجمة رمضان عبد التواب مؤسسة الرسالة بيروت ط2
- الامثال العربية في العصر الجاهلي، محمد توفيق ابو علي دار النفائس ط1 بيروت

- ايام العرب واثرها في الشعر الجاهلي د منذر الجبوري منشورات وزارة الاعلام العراق 1974
- البيان والتبين للجاحظ تح عبد السلام هارون مكتبة الخانجي ج 1 ط7 1998
- تاج العروس من جواهر القاموس، محمد مرتضى الحسيني الزبيدي تح جماعة من المختصين، الكويت ج4
- تطور الامثال: مقال منشور على شبكة الانترنيت: حسن العاني https://magazine.imn.iq/%D8%A7%D8%B9%D9%85
- الخطاب الشعري الجاهلي رؤية جديدة د.حسين مسكين الدار البضاء ط1 2005،
- ديوان طرفة بن العبد تح مهدي محمد ناصر الدين دار الكتب العلمية ط3 2002
- شعر الفرسان في العصر الجاهلي الوظائف والدلالات رسالة ماجستير للطالبة رحيق صالح فنجان. جامعة ذي قار كلية الآداب
- **الشعر والشعراء لابن قتيبة تح احمد محمد شاكر دار الحدث القاهرة ج1** (ب ت)
- طبقات فحول الشعراء ابن سلام الجمحي تح محمود محمد شاكر دار المدني
- العقد الفريد ابن عبد ربه تح مفيد محمد قميحة دار الكتب العلمية لبنان 1983
- العمدة ابن رشيق تح عبد الحميد هنداوي المكتبة العصرية لبنان 2007 ج 1
- الفاخر، المفضل بن سلمة تح عبد العليم الطحاوي دار احياء الكتب العربية ط1 138هـ

- فاعلية البناء النصي لقيم النثر الجاهلي، د علي اسماعيل خليل ط1 دار صفاء للطباعة 2024
- لسان العرب لابن منظور تح نخبة العاملين بالدار العلمية دار المعارف القاهرة د ب
- مجمع الامثال للميداني، قدم له وعلق عليه نعيم حسين زرزور، دار الكتب العلمية بيروت ط2 2004
- المسائل النحوية في الامثال العربية، صبيحة حسن و سندس محمد، بحث منشور، الجامعة المستنصرية، كلية التربية الاساسية / الكتاب، سيبويه تح عبد السلام محمد هارون، الخانجي، ط3 القاهرة، ج1، 1988
- معاني الفروسية في الشعر الجاهلي ديارى محمد عطا رشيد، دار غيداء للنشر2025
- معجم الوسيط نخبة من اللغويين بمجمع اللغة العربية بالقاهرة دار الفكر بيروت ط2 1972
- مكانة الامثال في الادب العربي، سيد اسماعيل حسيني اجداد، بحث منشور،قصبية دراسات الادب المعاصر ، ع9